ملخص

تاريخ تدوين السنة

د. عمر بن محمد عمر عبدالرحمن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تلخيص تاريخ تدوين السُّنَّة

بقلم: د. عمر محمد عمر عبد الرحمن

أقسام الوحي الشريف:

(١) وحي متلو: (القرآن الكريم).

(٢) وحي غير متلو: (السُّنَّة المطهرة)

وقد تكفَّلَ الله ﷻ بحفظهما معًا، فقالَ: ﴿**إِنَّا نحن نزّلنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لحافظون**﴾، فكماَ حفِظَ الله القرآنَ مِنَ التغيير والتبديلِ والتحريفِ، كذلك حفِظَ السُّنَّة مِنَ الضياعِ والتبديل والتغيير والتحريف.

وقد وردت بعض الأحاديث التي نهت عَن كتابة السُّنَّة (فى بداية الإسلام) حيثُ كانَ الهدف من ذلك مصلحة المسلمين العامة، خوفًا من أن يلتبسَ القرآن بغيرِهِ، أو تختلط السنَّة بالقرآنِ الكريم.

ولَمَّا استقرَّ للمسلمين دينهم، حثهم النَّبيُّ ﷺ على نقلِ أحاديثهِ وتدوينها ونشرِهَا بينَ النَّاسِ ممن لم يسمعها منه، فقالَ: (نضَّرَ الله امرءًا سَمِعَ منَّا حديثًا فحفظه حتَّى يبلغه غيره)، وحذرهم منَ الكذبِ عليهِ، أو نسبة مَا لم يقله إليه، فقالَ: (مَنْ كَذِبَ عَلَيَّ مُتعمدًا فَلْيَتَبَوأ مقعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

وكانَ الصحابة الكرام هم حماة السُّنَّة وحفاظها ونقلتها بعدَ وفاة النبيِّ ﷺ، ورهبوا النَّاس من الكذب عليهِ، وتشددوا فى قبولِ المرويات، حتَّى دونت السنة فيما بعد.

هل يلزم العمل بالسنة؟! (هل يجب العمل بها؟!)

المصادر التشريعيَّة فى الإسلام = هى القرآن والسنة. وكلاهما وحيٌ مِنَ الله تعالي، لذا يلزم العمل بهما معًا، ولا يغني أحدهما عَن الآخر. فالقرآن يحتاج إلى السنة فى شرح معانيه، وتوضيح ما خفي من ألفاظه، ولهذا قالَ النَّبيُّ ﷺ: (ألَا إنّي أوتيتُ الكتاب ومثله معه).

فالسنة وحي كالقرآن، يلزم الأخذ والعمل بها مثله تمامًا.

أقسام السُّنَّة من حيث القبولِ والردِّ:

تنقسم السنَّة من حيث قبولها والعمل بها أو ردها إلي:-

(١) أحاديث مقبولة، (معمول بها)، (محتج بها) – وهى الأحاديث الصحيحة والحسنة.

(٢) أحاديث مردودة، (غير معمول بها)، (غير محتج بها) – وهي الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

تعريف السُّنَّة:

لغةً: السنة هى الطريقة المتبعة (حسنة كانت أو سيئة)، لحديثِ النبيِّ ﷺ: (مَنْ سَنَّ فى الإسلامِ سنة حسنة فله أجرها وأجر مَنْ عمل بها إلي يوم القيامة، ومن سنَّ فى الإسلامِ سنة سيئة فعليهِ وزرها ووزر من عمل بها إلي يوم القيامة).

ويرى علماء اللغة أنَّها لا تطلق إلا على الطريقة الحسنة غالبًا، ولا تطلق علي الطريقة السيئة إلَّا مقيدة.

غيرَ أنَّ السُّنَّة إذا أُطلقت فى الشرع انصرف الذهن إلى أمر النبيِّ ﷺ ونهيه (مِما لم ينطق أو يأتِ به القرآن).

والسنَّة عند المحدثين (اصطلاحًا): هي أقوال النبيِّ ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخُلقيَّة والخِلقيَّة، وسيرته قبل البعثةِ وبعدهَا.

هل هناكَ فرق بين (السنة) و (الحديث) ؟!

ذهبَ بعض العلماء إلى عدم التفريق بينهما، فكلاهما يعبر عَمَّا أضيفَ إلي النَّبيِّ ﷺ. (وهو الراجح).

وذهب البعض إلى أنَّ السنة أعم من الحديث، فالحديث يُطلق على أقوال النَّبيِّ ﷺ وأفعاله. والسنة تطلق على الأفعال والأقوال والتقريرات والصفات والسيرة.

رواية الحديث = تعني حمله (سماعه وحفظه أو كتابته) ثم نقله للنَّاس.

راوي الحديث= حامله وناقله (بإسنادهِ ومتنهِ).

والرواية= هي نقل الحديث وتبليغهِ مَنْ لم يسمعه مع إسناده لقائله.

الحديث الشريف يتكون من طرفين:

(١) السند (سلسلة رجال الإسناد "الرواة").

(٢) المتن (نص الحديث، أو كلام النبيِّ ﷺ).

أقسام علم الحديث:

علم الحديث ينقسم إلي قسمين، هما:-

(١) علم الحديث **رواية** – وهو علم يشتمل على نقل كل ما أضيفَ إلى النَّبيِّ ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، معَ ضبط الرواية وتحرير ألفاظها.

(٢) علم الحديث **دراية** – وهو قواعد وقوانين يعرف بِهَا أحوال السند والمتن (من حيث القبول أو الرد).

أقسام السُّنَّة من حيثُ عدد النقلة:

السُّنَّة (الحديث) إمَّا أن ينقلها عدد كبير من الرواة أو ينقلها عدد قليل منهم. فإنْ كان عدد الرواة كثيرًا كان السنُّة متواترة (والحديث متواترا)، وإنْ كان عددهم قليل كانت سنة آحاد (والحديث حديث آحاد).

- فالحديث **المتواتر** : هو ما تنقله الكافة عن الكافة.

وهو يُفيد اليقين (أو القطع) ومنكره كافر.

ب- وحديث **الآحاد**: هو مَا لم يبلغ حد التواتر.

وهو موجب للعمل-عندَ الجمهور- شريطة صحة سنده.

حجية السنة:

السنة النبوية هي قول النبي ﷺ وفعله وتقريره، وهى ثاني المصادر للتشريع فى الإسلام بعدَ القرآن الكريم، فإذا ثبتت السنة عن النبي ﷺ وجب العمل بها، وكان من جحدها مكذب بالدين منكر للقرآن.

وإنْ لم تكن السنة النبوية حجة، فلا معنى لجميع العباداتِ والأحكام التى فصلتها السنة، كعدد ركعات الصلاة، ومقادير الزكاة، وأحكام الصوم، ومناسك الحج، وغيرها من الأحكام التى أمر بهَا القرآن، ثم جاءت السنة بتفصيلها ووضع حدودها وشرائطها.

فحجيَّة السنة –إذن– من أكبر ضروريات الدين بلا شك، والقرآن الكريم قد أثبتَ هذه الحجيَّة فى أكثر من موضعٍ فيه.

إذ الله تعالى يقول: ﴿**قل إن كنتم تحبونَ الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾، وقال تعالي: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾، وقالَ تعالى: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاعَ الله**﴾.

واتباع الرسول ﷺ وطاعته تشمل اتباع سنته وهديه، مع اتباعِ القرآن الكريم المنزَّلِ عليهِ، لذا قال تعالي: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾.

أدلة حجيَّة السُّنَّة، وأنَّها لازمة العمل:

(١) عصمة الرسول ﷺ.

فالرسول ﷺ معصوم عن الخطأ في التبليغ أو الكذب على الوحي، فالله ﷻ يقول ﴿**ومَا ينطق عَن الهوي * إن هو إلَّا وحي يوحي**﴾، فسنة النبيِّ ﷺ كلها أخبار معصومة.

(٢) أمر النبيِّ ﷺ باتباعِ سنته والتمسكِ بِهَا.

فقد قالَ ﷺ: (تركتُ فيكم ما إن تمسكتم بِهِ لَنْ تضلوا بعدي أبدًا؛ كتاب الله وسنتي). وقد كان الصحابة ﷺ يمتثلونَ أمره ويقدمونَ قوله على كل قولٍ، ويقتدونَ بِهِ فى كل حالٍ ويعتبرونَ أن كل مَا صدر عنه موجب للعمل به.

(٣) القرآن الكريم حثنا على اتباعِ النبي ﷺ وطاعته

يقول الله تعالى ﴿**يا أيُّهَا الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمرِ منكم**﴾، وقال تعالى ﴿**وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون**﴾.

بل إنَّ الله تعالي أمره ببيان مَا أوحي إليه، فقالَ: ﴿**وأنزلنا إليكَ الذكر لتبين للنَّاس مَا نزل إليهم**﴾.

وأمرنا نحن باتباعهِ في كل أمر، وحذرنا من كل ما نهى عنه، فقالَ: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾، وقال أيْضًا: ﴿**فليحذرِ الذين يخالفونَ عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾.

وأخبرَنَا أنَّ اتباعه ﷺ دليل على محبة الله وموجب لحبِّ الله للعبد، قالَ تعالي: ﴿**قل إنْ كنتم تحبونَ الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾.

هل الحديث النبوي الشريف كله وحيّ؟!

الحديث الشريف علي قسمين:-

(١) منه ما هو بوحيٍّ، يوحي به إلي النبي ﷺ.

(٢) ومنه ما كان باجتهاد النبي ﷺ (برأيه).

ومَا كان باجتهادهِ ﷺ كانَ مقرونًا بتصويب الله ﷻ له، فأقرَّه على الصواب، وأرْشده إلي مَا جانب الأوْلي فيه!

ومن ذلكَ ما حدث فى غزوة بدرٍ، لما نزل النبيُّ ﷺ بجوار ماء بدرٍ، وقام إليه "الحباب بن المنذر" وقالَ لرسول الله: "أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟! فقالَ النبي ﷺ: (بل هو الرأي والحرب والمكيدة)، فأشار الحباب على النبي ﷺ أن يُغيِّر هذا الموطن، وينزل أمام بئر بدر فيشرب المسلمون، ولا يشرب الكفار، فرَّحبَ النبي ﷺ بما أشار به الصحابي، ونزلَ علي رأيه، وغيَّر موضع الجيش.

فليس اجتهاده كاجتهادنَا، لذلك وجب اتباعه فى كل حالٍ، خاصة بعدَ إقرار الله تعالى لرأيه، قالَ تعالي ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾.

إذاً فكل مَا تحدَّثَ بِهِ النبيُّ ﷺ سواء أكانَ بوحيٍّ أو باجتهادٍ منه؛ يجب الأخذ به.

وصيَّةُ النبيِّ ﷺ باتباعِ سنة الخلفاء الراشدين:

الخلفاء الراشدونَ هم أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وهم أفضل الصحابة على الإطلاق.

والخليفة= هو مَنْ ينوب عَن صاحب الشريعة فى حفظِ الدين وتطبيقهِ وسياسة الدنيا.

لذاَ فهم خلفاء النبيِّ ﷺ لأنَّهم جاءوا من بعده، ويجوز أنْ يُقال للأئمة (الحكام) خلفاء قياسًا على قول الله تعالي لنبيِّهِ داود عليه السلام ﴿**يا داودُ إنَّا جعلناكَ خليفةً فى الأرض**﴾.

والرشد= هو إصابة الحق والبعد عن الضلال والغي.

لذا أُطلق عليهم : (الخلفاء الراشدين).

وقد أوصي النبيُّ ﷺ باتباعِ سنتهم والسير على منهجهم، لأنَّهم يسيرونَ على منهج الرسول القويم، بل حذرنا من مخالفتهم وشق عصا الطاعة والخروج على الجماعة.

لذلك قالَ ﷺ: (أوصيكم بتقوي الله، والسمع والطاعةِ، وإنْ عبدًا حبشيًّا، فإنَّه من يعش منكم بعدي فسيري اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإنَّ كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعَةٍ ضلالة).

فقد وصفهم ﷺ بالمهديين أي الصالحين فى أنفسهم المصلحين لغيرهم، لأنَّ من لم يكن مهتديًّا فى نفسهِ فلن يهدي غيره!

وأمرنا بالتمسك بسنته وسنتهم قائلاً: (عضوا عليها بالنواجذ) وهي كناية عَن شدة ملازمة سنتهم والتمسك بها، فإذا قالَ الخليفة منهم قولاً وخالفه فيه غيره من الصحابة أخذنَا قول الخليفة. كما حذرنَا ﷺ من مخالفة أمرهم وشق عصا الطاعة، وتفريق جماعة المسلمين.

فهم المهتدون الذين صحبوا الرسول ﷺ وتشرفوا برؤية وجهه وصحبته (وصحبة النبيِّ لا يعدلها شيء)، وتحملوا معه الكثير من الأهوالِ والقتال والجهاد والهجرة، وهجر الأموال والأولاد والجاة نصرةً لدينه وجهادًا فى سبيلِ اللهِ، وتحملوا معه ما لم يتحمله غيرهم.

وقد زكاهم النبيُّ ﷺ فى كثيرٍ من الأحاديثِ كما قالَ: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)، وقال أيضًا: (اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر).

كما بشرهم بالجنَّةِ فى كثيرٍ من الأحاديث الصحيحة.

مكانة السنة النبوية ووجوب العمل بها:

السنة هى المصدر الثانى للشريعة الإسلامية بعدَ القرآنِ، تفصله، وتشرح معانيه، وتقيد مطلقه، وهى وحيٌ كالقرآن، لكنها وحيٌ غير متلو.

قال الله تعالي: ﴿**وما ينطق عن الهوي * إن هو إلَّا وحي يوحي**﴾.

وقد أوجب الله تعالي طاعة رسولهِ وقرنها بطاعته ﷻ، ﴿**يا أيُّهَا الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾.

وقد قال النبي ﷺ فى حديثه: (ألا إنّي أوتيتُ الكتابَ ومثله معه..). وهذا الحديث يحتمل وجهين مِنَ التأويل، إمَّا أن يكون معناه أنه أعطى وحيًّا باطنًا كما أعطى وحيًّا ظاهراً متلوًا، ويحتمل أن يكونَ المعني أنه أوتى وحيًّا يتلي –وهو القرآن– وأوتى بيانًا لهذا الوحي –وهو البيان النبوي– .

وهذا دليلٌ عَلَى أنَّ السنة وحي كالقرآن، فيلزم العمل والأخذ بها كالقرآن.

فقد أمرَ الله تعالي رسوله ﷺ أن يبين الكتاب، قالَ الله تعالي: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبينَ للنَّاس ما نزل إليهم**﴾.

وبيَّن الله أن طاعة رسولِه من طاعته ﴿**مَنْ يُطعِ الرسول فقد أطاعَ الله**﴾.

بل إنَّ مبايعة الرسول ﷺ هى مبايعة لله تعالي، ﴿**إن الذينَ يُبايعونكَ إنَّما يبايعونَ الله يد الله فوق أيديهم**﴾.

بل أمر بأخذ كل مَا جاء عَن رسولنا وترك كل ما نهى عنه، فقال: ﴿**وَمَا آتاكم الرسول خذوهُ وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾.

وحذرنَا من مخالفة رسوله، فقالَ تعالي: ﴿**فليحذرِ الذين يُخالفونَ عَن أمرهِ أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ**﴾.

وحدَّدَ القرآن أنَّ المؤمنين الفائزينَ إنما هم الذين يطيعونَ الله ورسوله، ﴿**إنما كان قولَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسولهِ ليحكم بينهم أنْ يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يُطعِ الله ورسوله ويخشَ الله ويتقهِ فأولئك هم الفائزو**﴾.

هل أمر النبي بحفظ سنته ؟ وما الدليل على ذلك ؟

أمر النبي ﷺ بحفظ سنتهِ، فقالَ لأصحابه: (نضر الله امرأً سمع منا حديثًا فحفظه حتَّى يبلغه غيره، فرب حامل فقهٍ ليسَ بفقيهٍ، ورب حامل فقه إلَى من هو أفقه منه).

وقد كانَ فى أكثر خُطَبِهِ (التى فيها بيان لأحكام الشرع)، يقول مرارًا: (ألا هل بلغت)، (أَلَا فليبلغ الشاهدُ منكم الغائب) كَما قالَ ﷺ فى حجة الوداع المشهورة، وفى أكثر من خطبة له ﷺ.

ولم يكتفِ الرسول ﷺ بذلكَ، بل قالَ لهم محذرًا إيَّاهم من الكذبِ عليهِ، (منْ كذبَ علَيَّ فليتبوأ مقعده من النَّارِ)، وقالَ: (من أحدثَ فى أمرنا هذا ما ليسَ منه فهو رد)، وقالَ: (كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النَّارِ).

مظاهر اهتمام الصحابة بالسنة فى العهد النبوي الشريف:

اهتمت الشريعة الإسلاميَّة بالعلمِ والعلماءِ، وأشادت إلى مكانتهم فى القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمونَ والذين لا يعلمون**﴾. **وقالَ تعالي: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلمَ درجاتٍ**﴾.

كما أشادت السنة النبوية بالعلماء وبمن ينقلونَ العلم وينشرونه بينَ النَّاسِ، إذ يقول الرسول ﷺ: (نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظها ووعاها وأدَّاهَا فرب حامل فقهٍ غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه).

لذلك اهتمَّ الصحابة بحفظِ حديث رسول الله ﷺ تعلمًا وتعليمًا ونشرًا، وكان من أهم مظاهرهم فى ذلك:

- رحلة بعضهم فى طلب العلم، للتفقه فى الدين، ثم العودة إلى ديارهم لتعليم ما سمعوه من رسول الله ﷺ، لأنَّ الله تعالى قال لهم: ﴿**وما كانَ المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفرَ من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدينِ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلَّهم يحذرونَ**﴾.

- كذلك كان خوفهم من كتمان العلمِ وعدم نشرهِ سببًا فى نشر الحديث الشريف والسنة النبوية، لأنَّ الله تعالي يقول: ﴿**إنَّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيناتِ**

والهدي من بعد ما بيناه للناس فى الكتابِ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾، ولأنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: (من سئل عن علمٍ فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة).

لذلك عمل الصحابة على نشر العلم وخاصة القرآن والسنة، فأخذوا يحفظونَ القرآن والسنة وينشرون علومهما بين النَّاسِ.

- كذلك كان حبهم لرسول الله ﷺ دافعًا عظيمًا لهم على نشر سنته وحديثه.

- وقد كان الواحد منهم فى البلاد المحيطة للمدينة إذا سمعَ عن الإسلام، ارتحل إلى النَّبيِّ ﷺ ليسمع منه بنفسهِ، وكانوا يتحملون المتاعب والمشاق والصعاب فى نقل الحديث الشريف، فرجلٌ واحدٌ من الصحابة سمع بالإسلام وهو فى البادية فنزل إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الإسلام ويتعلم أحكامه، ثم عاد إلى بلادهِ مرة أخري.

وها هو ابن عباس ﷺ (وهو ابن عم رسول الله ﷺ) يأتى بعض الصحابة –الأكبر منه سنًا- فى بيتهِ، فيسأل عنه، فيجده نائم فى وسط النهار-وقت القيلولة- فيجلس بباب بيته، وينام على ردائهِ، منتظرًا خروجه ليسأله عن حديث واحدٍ لرسولِ الله ﷺ.

- كذلك كانَ الصحابة يتناوبونَ فى طلب العلم وسماع الحديث من رسول الله ﷺ حتَّى لا يفوتهم شيء من حديثه، فسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ كان يتفق مع صحابي آخر من الأنصار أن ينزل أحدهما فيجلس يومًا كاملاً مع رسول الله ﷺ ، ثم يذهب إلى أهله وتجارتهِ وأعماله، ويأخذ الآخر مكانه بينَ يدي رسول الله ﷺ.

- كما كان الصحابة لا يكتفونَ بالقرآن ولا يستغنونَ به عن السنة والحديث النبوي، كما يحدث اليوم ممن يسمون أنفسهم بالقرآنيين، ويدعون أنه بإمكانهم الاكتفاء بالقرآن والاستغناء عن السنة، فهذه القضية لا يمكن تطبيقها أبدًا، ولا يمكن اعتمادها مُطلقًا، فلا يمكن الاستغناء عن السنة أبدًا.

وها هو سيدنا عمران بن حصين ﷺ كان يحدث النَّاس بسنة نبيه ﷺ فقالَ له أحد الصحابة: حدثنا بالقرآنِ! فقالَ له عمران مبينًا مكانة السنة له، أنه كان يقرأ القرآن هو واصحابه، فهل وجدَ فى القرآن عدد الصلوات المفروضة أو عدد ركعاتها وأوقاتها، والزكاة ومقاديرها، ونحو ذلك أين يجد ذلك فى القرآن؟! فلا سبيل إلى معرفة هذا إلَّا بالسنة النبوية المفصلة والشارحة للقرآن الكريم، فقال له الرجل: أحييتني أحياك الله!

- كذلك كان الصحابة يعتقدونَ أنَّ الأخذ بالسنة أخذٌ بالقرآن، وطاعة الرسول طاعة لله تعالي، فها هو سيدنا عبد الله بن مسعود كان يقول فى حديثه: "لعن الله الواشمات والمستوشماتِ والنامصاتِ والمتنمصات، والمتفلجاتِ للحسن المغيراتِ خلق الله"، فراجعته إحدي الصحابيات فى ذلك، لم يكن قد بلغها الحديث، فقالَ لها: "وما لي لا ألعن من لعنَ رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله!" فقالت المرأة: لقد قرأت المصحف فما وجدته! فقالَ لها: "لئن كنت قرأتِيه لقد وجدتيهِ، قال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾.

- كما كانَ للمرأة فى عهد النبي ﷺ دورٌ فى نشر الحديثِ والسنة، بل ذهبت النساء إلى رسول الله، يطلبون منه أن يخصص لهن يومًا فيتعلمونَ منه كما يتعلم الرّجال، ويسألونه فيما يخصهن من أمورهن، فوافق النبي ﷺ على ذلكَ وخصص لهن يومًا.

كما كانت أم المؤمنين عائشة ﷺ أعلم نساء النبي والصحابة وأفقههن، وقد شهد لها بذلك كبار الصحابة والتابعين، فقد كان ابو موسي ﷺ يقول: "ما أشكل علينا أمر، فسألنا عائشة عنه، إلَّا وجدنا عندها فيه علمًا".

- والعهد النبوي لم يكد ينتهى إلَّا وقد دونَ الكثير من السنة النبوية، بل شارك النبي ﷺ فى ذلك التدوين بنفسهِ، وذلك بإملائه على الكُتَّاب الرسائل التى كان يرسلها للملوكِ والأمراء، يدعوهم فيها إلى الإسلام.

- حتَّى بعدَ وفاة الرسول ﷺ لم يقل اهتمام الصحابة بنقل سنته وتعليمها للناس، بل زادت جهودهم تنفيذًا لما أمرهم به الرسول ﷺ من تبليغ الوحي إلى من لم يصله، وبذلو من أجل ذلك كله الغالي والنفيس.

- كما تشددوا فى قبول المرويات، واسسوا بذلك منهج التثبت فى حديثِ رسول الله ﷺ لأنَّ أحاديثه دين يتعبد به لله رب العالمين، فلا بد أن يكونَ صحيحًا قاله النبي ﷺ بالفعل.

- سارع كثيرٌ مِنَ الصحابة إلى تدوين ما سمعوه وحفظوه من رسول الله ﷺ فى صحفٍ خاصة بهم خوفًا من أن يضيع شيء منها بالنسيان ونحوه.

- ولذلك عملوا على نشر السنة والحديث للأجيال التى لحقتهم، فجلس الكثير منهم للتحديث عن رسول الله ﷺ كابي هريرة وأنس وجابر وعبدالله بن عمرو ﷺ وتخرج على يديهم جمع غفير من التابعين كانوا هم الأداة لنشر السنة فيما بعد.

- كذلك كونوا المدارس العلمية لتلقي الحديث والفقه، فأنشأوا المدارس فى كل بلدٍ من البلدان، كمدرسة المدينة المنورة، التى خرجت العلماء الأفذاذ أمثال مالك بن أنس. ومدرسة مكة المكرمة التى جلس فيها معاذ بن جبل يعلم أهلها الحلال والحرام، وتخرج منها مجاهد بن جبر، وعطاء بن رباح، ومحمد بن إدريس الشافعي.

كما أنشاوا فى البصرة مدرسة، وفى الكوفة، والشام ومصر، وغيرها .

- وكانَ من أهم مظاهر اهتمام الصحابة بالحديث، الرحلات العلميَّة التى قاموا بها وتحملهم المشاق فى ذلك، كما حدث لابن عباسٍ الذى كان يرتحل إلى البلدان المختلفة ليسمع من الصحابة الأكبر سناً منه حديثًا واحدًا لرسول الله ﷺ.

- كذلك كان من مظاهر اهتمام الصحابة بالسنة النبوية أنَّهم كانوا يستفتونَ رسول الله ﷺ فى كل ما يعرض وما يجد لهم من القضايا، كما سألة أحدهم مثلاً عن حكم اللقطة، وهو الشيء الملتقط من الأرض، فأمره النبي ﷺ أن يعرف أدق تفاصيلها، ويعرفها للنَّاس فى أماكن تجمعهم، لمدة سنة، ثم ينتفع هو بها.

- كما قامت الصحابيات بدورهن فى نشر الحديث النبوي، سواء فى حياة النبي ﷺ بالسؤال عن الحكم الشرعي، أو من بعد وفاتهِ ﷺ فى نشر وتعليم السنة.

ففى حياتهِ ﷺ سألته امرأة عن غُسلها من المحيضِ، فأمرها أن تغتسل، بقطعة من صوف أو قطن وتطيبها بالمسك وتتطهر بها، فقالت المرأة: كيف أتطهر، فقال لها: (تطهري بها)، فقالت: كيف؟، قال: (سبحان الله! تطهري بها)، فجرتها السيدة عائشة وقالت لها: "تتبعي بها أثر الدم" –يعني نظفى بها مَا بقي من دم فى الفرج– .

فهنا كان دور نساء النبي ﷺ، إذا كانَ هناك ما يمنع النبي ﷺ من التصريح بالحكم لعلة أو حكمة، تقوم إحدي زوجاتهِ الفاضلات بتوصيل المعلومة إلى السائلة.

وتقوم هذه السائلة التى تعلمت من النبي ومن زوجاته بتوصيل ونشر ما تعلمت، وقد كان الصحابيات يُسارعن إلى تنفيذ مَا أمر الله تعالي وما أمر به رسوله ﷺ (كما حدث ذلكَ فى فرض الحجاب على النساء، سارعت كل النساء إلي تطبيق الأمر وهى راضية بحكم الله وحكم رسوله ﷺ).

السبب فى ورود النهي عن كتابة الحديث الشريف فى بداية (العهد النبوي):

الكتابة لم تكن منتشرة بينَ العرب إلَّا فى بلادٍ قليلة حولَ مكةَ، لذلك قالَ الله تعالى: ﴿**هو الذى بعث فى الأميين رسولًا منهم**﴾، وفى بداية الإسلام لم يكن يعرف الكتابة إلَّا سبعة عشر رجلًا تقريباً، منهم سيدنا عمر وعثمان وعلي ﷺ . وكذلك فى المدينة كانت الكتابة عند الأوس والخزرج قليلة جدًّا أيضًا.

وفى بداية العهد النبوي نهى النبي ﷺ عن كتابة أي شيءٍ سوي القرآن الكريم، وقد كان ذلك لمصلحة المسلمين العامة، لأسباب عدة، منها:-

١- الخوف من أن يلتبس بالقرآن أو يلحق به ما ليس منه، كما وقع لليهود والنصاري من قبل، وحتَّى يكونَ أمام القرآن مجالًا واسعًا ليثبتَ فى الصدور وتألفه الأسماع.

ولذلكَ قال النبي ﷺ : (لا تكتبوا عنى شيئًا غير القرآن، ومن كتب شيئًا غير القرآن فليمحه). ففى هذا الحديث منعهم النبي ﷺ من الكتابة، ووكل الأمر فى السنة إلى الحفظ فى الصدور فقط، لذلك قال لهم: (نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه وأدَّاه كما سمعه).

٢- وكل حفظَ القرآن فى هذا الوقت إلي الكتابة والحفظ، والسنة إلى الحفظ فقط دونَ الكتابة، محافظة منه ﷺ على موهبة الحفظ التى كان يمتلكها العرب، وتنمية لهذه الملكة عندهم، فهم الذين حفظوا المعلقات الطوال، وكان جل اهتماهم موكول إلى الحفظ، فلو اعتمدوا بالكلية على الكتابة لضاعت هذه الملكة منهم.

٣- أنَّ عدد الكُتَّاب فى ذلك الوقت قليل جدًا، فلو أمر النبي ﷺ بكتابة القرآن والسنة معًا، ما استطاعوا ذلك.

٤- كذلك كان سبب النهي فى البداية خوفًا من أن ينشغل المسلمون عن القرآن، فلم يأمر النبي ﷺ بكتابة شيء غيره ترسيخًا له فى الأذهان.

٥- وقيلَ إنَّ النهي عن الكتابة كان لمن يوثق فى حفظهِ، ويخشي اتكاله على الكتابة دونَ الحفظ، فيترك الحفظ فتضع منه هذه الموهبة.

ثمَّ لَمَّا رأي النبي ﷺ أنَّ القرآن الكريم لا خوف عليه من أن يلتبس به غيره، أمرهم أن يكتبوا عنه سنته وينشروا حديثه، فأمر عبدالله بن عمر ﷺ أن يكتب ما يسمعه منه، وذلكَ بعد أن نهت قريش عبدالله عن الكتابة، فقالَ له النبي: (اكتب، فوالذي نفسي بيده إني لا أقول إلَّا حقًا)، أو: (ما خرج منى إلا حقًا). ولَمَّا اشتدّ وجع النبي ﷺ أمر أصحابه أن يأتوه بكتابٍ يكتبه لهم فلا يضلوا بعده أبدًا.

كل ذلكَ لأنَّ مصلحة المسلمين العامة قد اقتضت المنع فى بداية العهد النبوي، ثم كانت مصلحتهم بعد ذلك فى تدوين السنة ونشرهًا .

العوامل التي أدت إلى حفظ السُّنَّةِ فِى القرن الأوَّل [العهد النبويّ]:

كانت هناكَ اسباب كثيرة أدت إلى حفظ الحديث النبوي من الضياع ، ومنها:-

١- صفاء أذهان الصحابة، وقوة قرائحهم، وقد كانت أميتهم سبباً من أسباب تنمية ملكة الحفظ عندهم.

٢- كانت عندهم دوافع كثيرة دفعتهم إلى حفظ الحديث النبوي، فأيقنوا أن هذه الأحاديث هى السبيل الوحيد لبيان القرآن ليسعدوا فى الدنيا والآخرة. فتلقوا الحديث بغاية الحرص والاهتمام.

٣- كما حثهم على نقل الحديث وروايته دعاء النبي ﷺ لمن يحفظ حديثه وينقله كما سمعه.

٤- كان النبي ﷺ يُساعدهم بمختلف الوسائل على الحفظ، فلم يكن يلقى عليهم الحديث سردًا متتابعًا، وإنما كان يفصل كلامه ويتأني فيه، ويعيده ويكرره مرة واثنتين وأكثر من ذلك إذا لزم الأمر.

٥- كان يختصر لهم الأحاديث، فيلقيها مختصرةً بليغة، تستطيع العقول أن تعيها وتحفظها من مرة واحدة.

٦= كما كان يُكثر لهم من الأحاديث الجامعة، وقد أوتى هو جوامع الكلم ﷺ، وذلكَ أنَّه كان يقول الكلام القصير الذى يحتمل المعني الكثير، كقوله: (الجماعة رحمة والفرقة عذاب)، وقوله: (الندم توبة)، وقد قال عن نفسه: (أوتيتُ جوامع الكلم).

٧- كان يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة عليهم، فكان يتخير الأوقات التي تناسبهم حتَّى لا يملون من سماعِهِ .

٨- وكان ﷺ لا يُطيل عليهم فى الموعظة. حتى يُفهم قوله ويُعمل به.

٩- مكانة الحديث الشريف فى نفوس الصحابة الكرام كان من أكبر الأسباب التى أدت إلى حفظهِ ونشرهِ للنَّاسِ.

١٠- تطبيق الصحابة العملي للحديث اقتداءً بالحبيبِ ﷺ.

١١- العوامل البيئية والمكانية كانت لها أثر بالغ فى حفظ السنة، فلم يكن عندَ الصحابة ملهيات كالموجودة اليوم تشغلهم عن الحديث وعن النبيِّ ﷺ.

كل ذلكَ وغيره، كان له أكبر الأثر فى حفظ السنة وإذاعتها ونشرها بين النَّاسِ.

السنة فى عهد الصحابة:

كان الصحابة أحرص النَّاسِ عَلَى سنَّةِ النبي ﷺ وتطبيقها، وهذا كله ناتج عَن إيمانهم القوي بأنَّ كل ما يقوله النبي ﷺ وحي ودين يتعبد به لله تعالي ﴿وما ينطقُ عَن الهوي * إن هوَ إلَّا وحيٌ يوحي﴾. وكذلك لتشجيع النبي ﷺ لهم عَلَى نقل السنة ورواياتها وتعليمها لمن لم يسمعها منه، فقالَ: (نضرَ الله امرءًا سمعَ مقالتي فوعاها وأدَّهَا كما سمعها). كما كانوا يحذرونَ من الكذبِ عليهِ لأنَّه القائل: (إنَّ كذبًا عليَّ ليس ككذبٍ عَلَي أحد من كذب عَلَى متعمدًا فليتبوأ مقعده من النَّارِ). فكانوا يرونَ السُّنَّة مع الحيطة والحذر من الكذب عليهِ ﷺ.

ومن مواقفهم فى ذلك:-

(١) موقف أبو بكر الصديق ﷺ:

وهو أوَّل من سَنَّ للنّاس التحري والتثبت فى الرواية ونقل الأخبارِ وقبولها.

فروى أنَّ جدة أتت إلى أبي بكرٍ الصديق تلتمس أن يورثها، فقالَ لها: (ما أجد لكِ فى كتابِ اللهِ شيئًا، وما علمتُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ذكرَ لَكِ شيئًا). ثم سألَ النَّاسَ، فقامَ المغيرة، فقالَ: "كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس". فقالَ : (هل معكَ أحدٌ يشهد بذلك؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلكَ) فأمضاه أبو بكر.

فهذه دلالة على أَنَّ أبابكرٍ سن سنة التثبت من المروياتِ.

وكذلك عن موقفه من تدوين السنة، تقول أم المؤمنين عائشة ﷺ أنَّ أبا بكرٍ جمعَ من الحديث عن رسول الله ٥٠٠ حديثًا، وكانَ يتقلب فى فراشهِ ذاتِ يوم، فأصاب عائشة القلق على أبيها، فسألته إن كان يتقلب لمرضٍ أو لشيء آخر بلغه، فأخبرها حين أصبح أن تأتيهِ بالأحاديث التي عندها ، ثم أمر بنار وأحرق هذه الأحاديث. فلما سألته عن سبب ذلكَ أجابها أنه يخشى أن يكون قد كتبها عن رجل ظن به خيرًا ووثق به ولم يكن الأمر كذلك، فخشي أن ينقل ما لم يقله النبي ﷺ.

إذًا لما خشى أبو بكرٍ أن يقعَ فى الكذبِ علي رسولِ الله ﷺ دفعه هذا لإحراق ما لم يتيقن من صحة نسبته للرسول ﷺ.

(٢) موقف عمر بن الخطاب ﷺ:

وقد سار علي منهج أبي بكر ﷺ فى وجوب التثبت والتحوط فى نقل الرواية. ومما يدل علي ذلكَ لما استأذنَ فى الدخول عليه أبو سعيد الخدري ﷺ فلم يأذن له، فرجع أبو سعيد، فأرسل عمر فى أثرهِ: لم رجعت؟ فأخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إذا سلم أحدكم ثلاثًا فلم يجب فليرجع" فقالَ له عمر: (لتأتيني علي ذلك ببينةٍ أو لأفعلنَّ بك) فذهب أبو سعيد إلي جماعة من الصحابة وهم جلوس ولونه متغيرًا خوفًا من شدة سيدنا عمر، فقالوا له: ما شأنك، فأخبرهم، فقال لهم: هل سمع أحد منكم ؟ فقالوا: كلنا سمعه. فأرسلوا معه رجلًا منهم يؤكد ما رواه أبو سعيد. فاطمأن عمر إلي صدقِ الروايةِ.

وموقف عمر لم يكن شكًا أو اتهامًا لأبي سعيد وإنَّما كان من باب حرصهِ علي التثبت فى المرويات والتحوط فى قبولها لذلك قالَ له: (أما إني لم أتهمكَ، ولكن أحببت أن أتثبت).

(٣) موقف عثمان بن عفان ﷺ:

كان عثمان بن عفان شديد التحوط والتخوف من الروايات، وكان قليل الرواية وجلًا من أن يغير في الحديثِ شيئًا. وكان يقول: (ما منعني أن أحدث عن رسول الله ﷺ أن لا أكون أوعي أصحابه، ولكني أشهد أني سمعته يقول: "من قال علي مالم أقل فليتبوأ مقعده من النَّارِ").

إذاً فخوف سيدنا عثمان كان مانعًا له من كثرة التحديثِ. وهذا دليل علي الحيطة والحذر.

(٤) موقف علي بن أبي طالب ﷺ:

سلكَ علي موقف ابي بكر وعمر وعثمان ﷺ في التشدد فى قبول المروياتِ، فكان يجعل الراوي يحلف أنه سمع الحديث من رسولِ الله ﷺ، فكان إذا حدثه أحد استحلفه –يعني طلب منه أن يحلف بالله علي صدق ما يقول– فإنْ حلف له صدقه، وإلَّا لم يصدقه ولم ينقل الحديث عنه.

وقد كان ﷺ كاتبًا للحديث علي عهد النبي ﷺ، وكتب صحيفة مشهورة له ﷺ.

(٥) موقف أنس بن مالك ﷺ:

كذلك كان أنس بن مالك يخشي كثرة التحديث عن الرسول ﷺ خوفًا من أن يضيف للحديث ما لم يقله النبي ﷺ ولذلك كان إذا فرغ من الحديث قالَ: "أو كما قال رسول الله ﷺ".

ونستنتج من كل هذه الأمثلة أنَّ الصحابة جميعهم اتفقوا علي مبدأ الاحتياط والتثبت فى المروياتِ، ولم يكن قصدهم اتهام بعضهم البعض وإنَّما القصد التثبت من سنة

رسول الله ﷺ، فقد ثبت أنَّ الصحابة كلهم عدول، ولم يثبت كذب أحدهم، فهم الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم).

الكاتبون من الصحابة:

١. علي بن أبي طالب ﷺ. (وقد كتب لنفسه صحيفة عن رسول الله ﷺ).

٢. عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ. (وقد كتب لنفسه صحيفة سماها الصادقة).

٣. أبو هريرة ﷺ. (ورغم أنه لم يكن يعرف الكتابة، فإنَّه كان يستكتب لنفسهِ، وقد حفظت لنا صحيفته التي رواها عنه "همام بن منبه").

والفائدة من هذه الصحف: أنَّها تعتبر من الأدلة اليقينية علي أنَّ السنة قد شرع في تدوينها في فترة مبكرة جدًا. كما أنَّها وثيقة تاريخية هامة حيثُ أنَّها و صلت إلينا كاملة دون انقطاعٍ.

٤. عبدالله بن أبي أوْفي ﷺ.

٥. أبو بكرٍ الصديق ﷺ.

٦. أبو رافعٍ ﷺ مولي رسول الله ﷺ.

٧. أنس بن مالك ﷺ.

٨. عبدالله بن عباسٍ ﷺ.

٩. جابر بن عبدالله ﷺ.

السنة في عصر التابعين:

التابعون: هم تلامذة الصحابة ، الذين تلقوا علومهم وثقافتهم من صحابة رسولِ الله ﷺ. فقد خالطوا الصحابة وعرفوا عنهم كل شيءٍ وتأثروا بهم. وتأسوا بهم فكانوا قدوتهم الأولي. ولذا اتفقت كلمتهم مع كلمة الصحابة في كتابة السنة. فكانَ منهم من كره الكتابة لوجود الأسباب الداعية إلي ذلك. وأجازوا بعد ذلكَ الكتابة لما زالت أسباب الكراهة.

وكان ممن كره الكتابة: إبراهيم النخعي، وعبيدة بن عمرو السلماني المرادي (ولم يرض أن يكتب عنه أحدٌ).

وقد خافَ التابعونَ كذلك من الكتابة لما اشتهرت آراؤهم الشخصية فخافوا أن يدونها الطلاب معَ الحديث، فيدخله الالتباس بغيرهِ. (فيمكن القول بأنَّ الكراهة إنما كانت لتدوين آراؤهم مع الحديث وليس لمجرد الكتابة للحديثِ، لذا فرق البعض بين النهي عن كتابة الرأي، والنهي عن كتابة الحديث مع الرأي).

وقد شاعت بعد ذلك الكتابة بين مختلف الطبقات حتى لم يعد أحدٌ ينكرها في آواخر القرن الأوَّل الهجري وأوائل الثاني.

ومن ذلك نستنتج أنَّ كتابة السنة قد استمرت من عصر النبي ﷺ إلى التابعين، وأنَّ أسباب المنع متشابهة منذ عصر النبي ﷺ إلى آخر عصر التابعين، وبانتهاء القرن الأول أصبح الطريق ممهدًا لتطوير التدوين للسنة النبوية.

أسباب تدوين السنة في القرن الثاني الهجري:

(١) زوال الخوف من أن يلتبس القرآن بالسنة النبوية. فقد جمع القرآن في مصحفٍ واحدٍ.

(٢) كثرة الفتوحات الإسلامية، واختلاط العرب بالعجم، وتوفر وسائل الكتابة والمعرفة.

(٣) حماية السنة من التزييف والتبديل والتحريف، والعمل على صيانتها وحمايتها.

متى بدأ التدوين الرسمي للسنة النبوية؟!

كان عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز هو بداية التدوين الرسمي للسنة النبوية بأمرٍ من الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز بجمع السنة وكتابتها.

أمَّا قبل ذلك فقد كانت مكتوبة في الصحف والرقاع والجلود والعظام بصفة فرديةٍ منذ عهد الرسول ﷺ واستمرَّ الحفظ والتدوين إلى أنَّ بدأ الجمع الرسمي في عهد عمر بن عبدالعزيز.

وقد بذل عمر بن عبدالعزيز مجهودًا ضخمًا في الحفاظِ على السنةِ رغم قصر مدة خلافتهِ. وتوالى التدوين دونَ انقطاعٍ ، وقد كانَ تدويناً ممزوجًا بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

كتب النبي ﷺ ورسائله للملوك:

- كتبَ النبي ﷺ كتاب "الصدقة" وحدد فيه مقادير الزكاةِ من الإبل والبقر والغنم، وفصل ذلك كله. وقد أرسل أبو بكر الصديق ﷺ هذا الكتابِ معَ أنس ﷺ لَما أرسله إلي البحرين.

كما كتب النبي ﷺ إلى ملوك الأرضِ في وقتهِ يدعوهم فيها إلى الإسلام.

وقد اشتهرت بعض الصحف التى كتبها الصحابة ورواها عنهم التابعونَ، ومنها:

١- الصحيفة الصادقة: وهي لعبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ وهي أحاديث انتقاها سيدنا عبدالله من أحاديثه التى رواها عَن النَّبيِّ ﷺ.

٢- صحيفة سمرة بن جندب ﷺ، وقال عنها ابن سيرين: "فيها علمٌ كثيرٌ".

٣- صحيفة جابر بن عبدالله ﷺ (وكان قتادة يحفظها كما يحفظ سورة البقرة).

٤- صحيفة همام بن منبهٍ عَن أبي هريرة ﷺ، (وقد ذكرها الإمام أحمد).

وكل هذه الصحف وغيرها كتبها الصحابة في حياة رسول الله ﷺ، ولكن تحرَّجَ البعض منهم في بداية الإسلام من الكتابة للسنة لئلا ينشغلوا بها عَن القرآنِ، (في وقتٍ كانت العناية فيه مركزة عَلَى القرآن الكريمِ ونشرهِ في الآفاق).

وهذه الصحف هي من أكبر الأدلة والبراهين على كتابة السنة في عهد النبي ﷺ.

المكثرونَ من الصحابة:

المكثر من الصحابة : هو من زادت مروياتهِ عَلى ألف حديثٍ. والمكثرونَ على هذا الترتيب الآتي:

الصحابي الجليل	عدد مروياتهِ
أبو هريرة ﷺ	٥٣٧٤ حديث
عبد الله بن عمر ﷺ	٢٦٣٠ حديث
أنس بن مالك ﷺ	٢٢٨٦ حديث
السيدة عائشة ﷺ	٢٢١٠ حديث
عبدالله بن عباس ﷺ	١٦٦٠ حديث
جابر بن عبدالله الأنصاري ﷺ	١٥٤٠ حديث
أبو سعيد الخدي ﷺ	١١٧٠ حديث

ترجمة أبي هريرة ﷺ:

هو الإمام الفقيه المجتهد صاحب رسول الله ﷺ الدوسي اليماني.

اختلف في اسمه واسم أبيه علي أقوالٍ متعددة، وأشهرها عبدالرحمن بن صخر.

وأمه ميمونة بنت صبيح.

روي عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، وقد بلغ عدد أصحابه (٨٠٠).

وقد صحبَ رسولَ الله ﷺ ثلاث سنين أو أربع سنين، وقد كانَ أحفظ الصحابة.

وقد كانَ حفظه للحديثِ من معجزاتِ النبوَّة. وذلك لمَا جاءَ عنه ﷺ أنَّه قالَ: "إنَّكم تقولون إنَّ أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، وتقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثونَ مثله. وبرر أبو هريرة سبب ذلكَ أنَّ الأنصار والمهاجرين انشغلوا بالضيعات والتجارات والأموال والأولاد، علي عكسهِ هوَ، فلم يشغله شيء عَن صحبة رسول الله ﷺ فلا مَال عنده ولا تجاره يمنعه من الجلوسِ بين يدي النبي ﷺ وقد قالَ رسول الله ﷺ يومًا: (إنَّه لَن يبسط أحد ثوبه حتَّى أقضي جميع مقالتي ثم يجمع عليهِ ثوبه إلا وعي ما أقول) . فبسطَ أبو هريرة ﷺ ثوبه حتَّى قضي رسول الله ﷺ كلامه، ثم جمعَ الثوب إلي صدره، فوعي ما قالَ رسول الله ﷺ ولم ينس شيئًا منه.

وقالَ عنه الإمام الشافعي: "أبو هريرة أحفظ من روي الحديث في دهره".

وأمَّا عن عبادتِهِ ﷺ فقد كانَ كثير العبادة شديد الورع والعمل للأخرة، وقد كانَ يقسم الليل بينه وبين امرأتهِ وخادمه، كل واحدٍ منهم يقوم ثلث الليل ثم يوقظ الآخر. وكان صوَّامًا قوامًا كثيرَ التسبيحِ، وقد توفى سنة ٥٧ هـوقيلَ ٥٨هـوقيلَ ٥٩هـ، وبلغت مروياتهِ (٥٣٧٤ حديثًا).

ترجمة عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ :

اسمه: عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل، أبو عبدالرّحمن، القرشي المكي ثم المدني.

أسلمَ وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه، وأوّل غزواته "الخندق"، وكان ممن بايع النبي ﷺ تحت الشجرة.

أمه: زينب نت مظعون، وأخته: السيدة حفصة أم المؤمنين ﷺ .

روي عن النبي ﷺ علما نافعًا كثيراً، وعن أبيه عمر بن الخطاب كذلك، وأبي بكر وعثمان، وغيرهم.

وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين.

من تدينه أنَّه كانَ أملك شباب قريشٍ لنفسهِ، حتَّى قالَ عنه جابر ﷺ: "ما منا أحد أدركَ الدنيا إلَّا مالت بهِ إلَّا ابن عمر". وكان أورع النَّاس وألزمهم لأمر الشرع.

كان شديد الحب والاتباع والتأسي برسول الله ﷺ، فكانَ يُصلي في كل مكانٍ صلي فيه النبي، حتَّى إنَّ النبي ﷺ نزلَ تحتَ شجرةٍ، فكانَ ابن عمر يتعاهد هذه الشجرة فيصب في أصلها الماء لئلا تيبس .

وروى عن النبي ﷺ (٢٦٣٠ حديثًا). وقد توفى سنة ٧٣هـ وعمره ٨٧ سنة.

ترجمة أنس بن مالك ﷺ:

هو الإمام المفتى المقرىء راوية الإسلام أنس بن مالك بن النضر.

روي عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، وكذا عن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاذ وغيرهم.

وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين.

خدمَ رسول الله ﷺ وتتلمذ علي يديهِ، وكان آخر الصحابة موتاً، وصحب الرسول ﷺ أتم الصحبة ولازمه ولم يُفارقه منذ هاجرَ إلى أن لحق بالرفيق الأعلى. وغزا معه أكثر من غزوةٍ وبايع تحتَ الشجرة.

ولَمَّا جاءت به أم سليم إلى النبي ﷺ، وقالت له: هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمكَ، فادع له، فقالَ: (اللّهُمَّ أكثر ماله وولده). فزادَ ماله وكثر، ورأي مائة من أولاده وأحفاده، وقد أطال الله في حياتهِ.

قال عنه أبو هريرة: "ما رأيتُ أحدًا أشبه بصلاة رسولِ الله ﷺ من ابن أم سليم" (يعني أنسًا).. وكان ﷺ يصلي حتّى تتفطر قدماه من الدمِ. من كثرةِ القيام.

وروي عن النبي ﷺ (٢٢٨٦ حديثًا).

وقد ولد قبل الهجرة بعشر سنين ومات سنة ٩١ هـ أو ٩٢ هـ أو ٩٣ هـ.

ترجمة السيدة عائشة ﷺ :

هي أم المؤمنين الفقيهة العالمة العابدة التي يرجع إليها الصحابة في كثيرٍ من أمورهم لِما تمتعت به من الفطنة والذكاء وملازمة النبي ﷺ وكانت أكثر نساء النبي رواية للحديثِ. ولها الفضل في نقل كثيرٍ من السنة خاصة فيما يتعلق بأمور النساء.

اسمها: عائشة بنت أبي بكر الصديق. ولدت في الإسلام، وهي أصغر من السيدة فاطمة بثماني سنواتٍ. وقد ذكرَ ابن حجرٍ أَنَّها ولدت بعد البعثةِ بأربع سنين أو خمس.

أَمَّا أبوها فهو أبو بكرٍ الصديقِ خليفة رسول الله ﷺ وأحب الرّجالِ إليهِ، وهو السابق إلى الإسلامِ أحد المبشرين بالجَنَّةِ. وفضائله كثيرة لا يتسع المقام لذكرها ﷺ.

وأمها أم رومان بنت عامر، زوجة أبي بكر الصديق وهي من الصحابيات الجليلاتِ.

ولدت أم المؤمنين عائشة ﷺ بمكة، قد تزوجت في سنٍ مبكرةٍ، وكانت قد خُطبت قبل النبي ﷺ لـ (جبير بن مطعم)، ثم تحللت من خطبتهِ. ثم أرسلَ النبي ﷺ (خولة بنت حكيم) يخطب عائشة ﷺ، ثم تزوجها بعدَ ذلكَ. وقد كانت السيدة عائشة ﷺ في السادسة من عمرها يوم أن خطبها النبي ﷺ وبني بها في المدينة بعدَ الهجرة وهي في التاسعة من عمرها –بعدَ عودة النبي ﷺ من غزوة بدرٍ-. وكانَ قد بُشِّرَ الرسول ﷺ بزواجهِ منها قبل أن يتزوجها في منامهِ.

وقد مكثت مع النبي ﷺ تسع سنين، تعرفت في خلال هذه السنوات التسع علي الكثير من أحكام الشرع، وروت الكثير من السنة.

لم يشأ الله تعالى أن يكتب لأم المؤمنين عائشة الولدَ من رسول الله ﷺ كما كانَ للسيدة خديجة ﷺ. ورضيت أم المؤمنين عائشة بنصيبها الذي قدره الله تعالى لها، وقد كَنَّاها النبي ﷺ بـ (أمِّ عبدالله).

وقد سئل رسول الله ﷺ عَن أحب الناس إليه؟ فقالَ: (عائشة). ولما سئل عن أحب الرجال إليهِ قال: (أبوها).

وقد كانت لها منزلة في قلب النبي ﷺ لِما تمتعت به من نسب شريف وذكاء فطريٍّ وعقليٍّ، وسرعة بديهتها حتَّى أنَّها كانت تراجع النبي ﷺ في كثيرٍ من الأمور. وكانت فما بعد تراجع الصحابة وتستدرك عليهم.

ولم يتزوج النبي ﷺ بكرًا غيرها. أخذها طفلةٍ فنمت وترعرعت أمام عينيه وبين يديهِ. وقد وصفها النبي ﷺ في بعض الأحاديث بـ (الحميراء) ويقصد بذلكَ البيضاء الجميلة.

والوحي لم ينزل علي النبي ﷺ وهو في لحافِ امرأةٍ غيرها. وحب النبي ﷺ كان ظاهراً وجليًّا للعيانِ. حتَّى إنَّه أوْصى الصحابة أن يتحروا بهداياهم يومَ أم المؤمنين عائشة ﷺ. ولم يقدح هذا الحب في عدلِ النبي ﷺ بين زوجاتهِ كلهن.

وقد برَّأها الله تعالى من حادثة الإفك من فوق سبع سماواتٍ وأنزلَ في حقها قرآنًا يتلى إلى يومِ القيامَةِ، وأثبت طهارتها مما رميت به من أصحاب الإفك والإرجاف.

واستمر حب النبي ﷺ إلي آخر لحظاتٍ في حياتهِ وقد اختارَ أن يمرض في بيتها ﷺ واستأذن زوجاتهِ كلهن في ذلك الأمر. وبقي في بيتها حتَّى توفاه الله.

وقد حازت أم المؤمنين عائشة ﷺ شرفَ الزواجِ من الرسولِ ﷺ ومكن لها هذا الزواج بأن تحوزَ العلم وتغترف من العلم والهدي النبوي منذ نعومة أظفارها.

وكانت أعلم وأفقه نساء الأمة علي الأمة بشهادة الثقات العدول من أصحاب النبي ﷺ. وكانت الفقيهة الأولي في الإسلامِ، ففاحَ شذا فقهها وعلمها في عصرها وما بعده إلي يومنا هذا وإلي أن تقومَ الساعة.

وقد كانت حريصة علي التعلم والسؤال عما لا تعلمه ومراجعة الرسول ﷺ. وهذا دليل علي فقهها وعلمها. وبعدَ وفاةِ النبي ﷺ كانت قد بلغت منتهي العلم النبوي فما من مسألةٍ إلَّا وعندها منها علم غزير.

قالَ النبي ﷺ في حقها: (فضل عائشة على النساءِ كفضلِ الثريد علَى سائر الطعامِ).

روت عن رسولِ الله ﷺ (٢٢١٠ حديثًا). في الفقهِ والتفسير والسنن والفرئض وغيرها.

ترجمة عبدالله بن عباسٍ ﷺ :

هو حبر الأمة وفقيهها وترجمان القرآن ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبدالمطلب. وأمه هي لبابة بنت الحارث. وُلِدَ قبل الهجرة بثلاث سنين.

دعا له النبي ﷺ فقالَ: (اللّهُمَّ فقه في الدينِ وعلمه التأويل).

لما توفى رسول الله ﷺ كان ابن عباسٍ ﷺ يأتى بعض الصحابة –الأكبر منه سنًا- في بيتهِ، فيسأل عنه، فيجده نائم في وسط النهار-وقت القيلولة- فيجلس بباب بيته، وينام على ردائهِ، منتظرًا خروجه ليسأله عن حديث واحدٍ لرسولِ الله ﷺ. وهذا من شدة حرصه علي طلبِ العلمِ والحديثِ.

وكان شديد العبادة زاهدًا في الدنيا مقبلًا علي الآخرةِ، يقوم شطر الليلِ، ويرتل القرآن حرْفًا حرْفًا بتؤدة واطمئنان وتدبر لآياتِ الله تعالي. حتَّى كان أسفل عينيهِ سوادًا شديدًا من كثيرة البكاء من خشية اللهِ .

وكان يصوم الاثنين والخميس، ولما سئل عن ذلكَ، قالَ: "لأنَّ الأعمال ترْفع فيها، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم".

روي عن رسولِ الله ﷺ ١٦٦٠ حديثًا. ونشر السنة والحديث، وقمع البدعة.

ترجمة جابر بن عبدالله ﷺ:

هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام، الإمام الكبير الحافظ المجتهد مفتي المدينة.

صحب رسول الله ﷺ وروي عنه علمًا كثيرًا وكذا عن أبي بكر وعمر ﷺ وغيرهما.

وروي عنه خلق كثيرونَ من الصحابة والتابعين .

كانَ ممن شهدَ الخندق وبيعة الشجرة، وفي يومِ الحديبية قال رسول الله لأصحابه وفيهم جابر : (أنتم اليومَ خير أهل الأرْضِ).

ولما مرض عاده رسول الله ﷺ وتوضأ وصب عليه من الوضوءِ.

روي عن رسولِ الله ﷺ ١٥٤٠ حديثًا. وتوفى سنة ٧٨هـ وقيل ٧٧هـ.

ترجمة أبي سعيدٍ الخدريّ ﷺ:

هو سعد بن مالك بن سنان ، الإمام المجاهد، مفتي المدينة.

استشهد ابوه مالك يوم أحد، وقد شهدَ أبو سعيد الخندق وبيعة الرضوان.

روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وطائفة من الصحابة ﭫ. حتَّى كانَ أحد الفقهاء المجتهدين فى مدينة رسول اللهﷺ. وروى عنه ابن عمر وجابر وأنس وغيرهم.

بلغت مروياتهِ ١١٧٠ حديثًا عَن رسولِ الله ﷺ.

العصرُ الذهبيّ للسُّنَّةِ النبويَّة (القرن الثالث الهجري):

يعتبر القرن الثالث الهجري العصر الذهبي للسنة النبوية المطهرة.

ولم أطلق عليه العصر الذهبي للسنة ؟! الجواب: لأنَّه نشطت فيه الحركة العلميَّة نشاطًا ملحوظًا، وتنوعت فيه أساليب التأليف. فأصبحت ترتب الأحاديث ترتيبًا خاصًا. ويندرج تحت كل نوعٍ ما يضمه من الأحاديث.

فبدأ ترتيب الأحاديث النبوية فى هذا العصر وجمعها فى كتبٍ ومجلداتٍ كبارٍ حسب الموضوع الفقهي للأحاديث وذلك فى ((السنن)) و((المصنفات)) و((الجوامع)).

وكانت هذه المصنفات تضم الحديث النبوي وفتاوي وأقوال الصحابة والتابعين.

ثم ظهرت بعد ذلك ((المسانيد)) وهي تضم الحديث النبوي فقط. ولا تشتمل على قول الصحابي أو التابعي.

ثُمَّ بعد ذلك رأي الأئمة أَن يجمعواْ الحديث الصحيح وَحْدَهُ مع بعضهِ، وكان أول من صنف في الحديث الصحيح الإمام البخاري، وتبعه تلميذه الإمام مسلم.

ثم ظهرت بعد ذلك بقية الكتب الستة، وهي: سنن أبي داود، والترمذي، وابن ماجة، والنسائي.

((**الجوامع**)): وهي الكتب التي تشتمل عَلَى جميع أنواع الحديث المحتاج إليها. فى العقائد والأحكام والرقائق وآداب الآكل والشرب والسفر والحضر والتفسير والتاريخ والسير والفتن، وغير ذلك . مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم.

((**السنن**)): وهي الكتب المرتبة ترتيبًا فقهيًّا من باب الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة .. إلى غير ذلك، كسنن الترمذي وأبي داود وابن ماجة والنسائي.

((**المسانيد**)): وهي الكتب التي تجعل أحاديث كل صحابي مجموعة مع بعضها. مرتبة على حروف المعجم أو حسب السبق للإسلام أو الشرف والنسب أو غير ذلك. كمسند الإمام أحمد ومسند أبي يعل وغيرهما.

((**المصنفات**)): وهي الكتب المرتبة علي الأبواب الفقهية، وتشتمل على أحاديث الصحابة والتابعين مع الحديث النبويّ. كمصنف عبدالرزاق وابن أبي شيبة.

فالقرن الثالث يعتبر أزهى عصور السنة النبوية . نشطت فيه الحركة العلمية وظهر النقاد من العلماء وحفاظ الحديث وظهرت فيه معالم التدوين فى علوم الرواية. وظهرت أمهات كتب الرواية وكتب التاريخ وكتب الرّجال. وظهرت قواعد علوم الحديث.

وامتازت هذه الكتب والمصنفات بأنَّها كانت خالصة من وضع اصحابها لم يقتبسوها من غيرهم. وبعد ذلك بدأ العلماء اللاحقين في شرح هذه الكتب والمصنفات ويختصرونها أو يرتبونها.

ففى هذا العصر الذهبي. كانت فيه كتب للحديث الصحيح فقط. وكتب أخري امتزج فيها الحديث الصحيح مع غير الصحيح. وكتب جمعت الحديث النبوي فقط. وكتب أخرى ضمت إلى الحديث النبوي أقوال وفتاوى الصحابة والتابعين.

تدوين السنة النبوية فى القرن الرابع:

بعد أن انتهى القرن الثالث الهجري وظهور الموسوعات الحديثية الزاخرة بالحديث وعلومه. أصبح العلماء في القرن الرابع يختصرون هذه الأحاديث أو يرتبونها أو يشرحونها. ومن علماء هذا القرن من سارَ علَى طريقة من قبلهم فجمعوا الأحاديث وفحصوها ونقدوها.

وكانَ العلماء قبل القرن الرابع يعتمدونَ على الرواية الشفهية، لكن فى هذا القرن طغى الاعتماد على التدوين والجمع والتصنيف.

فظهر كتاب (المستدرك) وكتاب (العلل) للإمام الحاكم .

ثم جاء الإمام الدارقطني فألف (السنن)، و(العلل).

كما ظهرت بعض ((المسانيد)) فى هذا القرن، ومنها: مسند الإمام الحميدي، ومسند مسدد بن مسرهد، ومسند إسحاق بن راهوية، ومسند عثمان بن أبي شيبة، ومسند بقي بن مخلد.

وظهرت كتب جديدة فى علوم الحديث، ومنها: كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، والطبقات للواقدي، والطبقات لعلي بن المديني، والطبقات الكبري لابن سعد، والعلل لابن المديني، والتاريخ والعلل لابن معين،

تدوين السنة بعد القرن الرابع الهجري:

بعدَ انتهاء تدوين القرن الرابع الهجري أصبح دور العلماء فيما بعد قاصرًا عَلَى الجمع والترتيب والتهذيب لمن سبقهم من الأئمة .

فبدأ بعض الأئمة فى محاولة الجمع بين الصحيحين. وبعضهم في محاولة الجمع بين الكتب الستة كما فى كتاب (جامع الأصول لأحاديث الرسول) لابن الأثير الجزري.

وبعضهم حاولَ الجمعَ بينَ أحاديث كتب كثيرة متنوعة كما فعل الإمام البغوي والبيهقي والمقدسي والمنذري وابن عساكر وابن الجوزي وغيرهم من الأئمة.

** تَمَّ بحمدِ اللهِ تعالي **